

تفسير التاريخ ودراسته:

إن الصراع الأيديولوجي هو في أساس تفسير الوقائع التاريخية في لبنان، لذلك فلحدث الواحد عدة تفاسير من قبل المؤرخين، كل حسب ميوله وأيديولوجيته.

فالصراع حول هوية المردة يعود إلى تمسك المسيحيين بانتسابهم إلى لبنان فيما يحاول المسلمون جعل المسيحيين من أصل عربي.

والصراع حول سكان كسروان في أثناء حملات المماليك، أوائل القرن الرابع عشر، هو صراع بين المواردنة والشيعة، ليؤكد كل واحد منهم وجوده في كسروان في تلك الأثناء، وبالتالي كي يجعل طائفته في أساس الوجود اللبناني ومحوره في الصراع الحديث حول هوية لبنان الطائفية.

يقول أبو شقرا في كتابه "الحركات في لبنان إلى عهد المتصرفية" ص33، بضرورة إرجاع القديم إلى قدمه، على اعتبار أن جبل لبنان كان تحت حكم الإقطاع الدرزي، وما ادعاءات الدروز اليوم إلا انطلاقا من هذا المبدأ، وعلى اعتبار الشوف هو جبل الدروز، والأمير الحاكم كان يدعى أمير الدروز.

أما المسيحيون فإنهم يتمسكون بالأرض اللبنانية لأنهم أسبق في وجودهم من الدروز (القرن الحادي عشر) ومن الاسلام (القرن السابع)، وبالتالي فإن مقولة إرجاع القديم إلى قدمه تعني عودة الأرض والسلطة إليهم وليس لغيرهم من الطوائف الإسلامية. وقد أشار جوبلان Jouplain في كتابه La Question du Liban إن الدروز هم دخلاء على الجبل اللبناني، كما أشار المطران بطرس البستاني في إحدى رسائله إلى هذه القضية أيضا.

ولقد عالج المؤرخون في التاريخ الحديث قضية الصراع الطائفي والصراع الطبقي، ففي حين ركز البعض على الصراع الطائفي وذلك بهدف القول أن من المستحيل إقامة وطن واحد لجميع الطوائف اللبنانية، ركز الآخرون على الصراع الطبقي وذلك للقول بأن لا خلاف على الوطن في وجوده بل على النظام السائد فيه.

وأجمع المؤرخون اللبنانيون أن المسيحيين كانوا الأكثرية في الحوادث الطائفية في القرن التاسع عشر وبالتالي فإن البعض منهم أعاد خسارة المسيحيين في تلك الحوادث على اعتبارها صراعا طبقيًا اشترك فيه الفلاحون من الدروز والمسيحيين ضد الإقطاع عامة. وما ظهور الصراع الطائفي سوى مظهر جانبي غير هام.

أظهرت حوادث القرن التاسع عشر أن لبنان هو مجموعة طوائف متجاورة أملت على اللبنانيين إيجاد الميثاق الوطني القائم على الطائفية ليتمكنوا من التعايش مع بعضهم لفترة من الزمن تنتهي بتطوير الميثاق أو بزواله.

ولكي نفهم حقيقة التاريخ علينا أن ندرس عناصر الحدث وموقع المؤرخ في تركيبه لبنان المعاصر من حيث موقعه من الدولة والطائفة والمنطقة والطبقة الاجتماعية... الخ.

أشار بعض الباحثين إلى حوادث القرن الماضي على اعتبارها مكونة من عوامل داخلية وعوامل خارجية، فالعوامل الداخلية هي الطوائف وبخاصة المواردنة والدروز،

ويتكون الموارد من الاقطاع والكنيسة والفلاحين بينما يتكون الدروز من الاقطاع والفلاحين، وقد أضاف البعض الى الدروز اليزبكية والجنبلابية. فيما أشار البعض الآخر من الباحثين إلى اعتبار العوامل الداخلية مكونة فقط من الاقطاع من جهة ومن الفلاحين من جهة أخرى. أما العوامل الخارجية فكانت الامبراطورية العثمانية وأوروبا (فرنسا وانكلترا) ومصر.

وما أشبه الأمس باليوم!!!